وجه فى السحاب

قصص قصيرة

نادية البرعى

مطبوعات القصة
تصدر عن ندوة الاثنين بالإسكندرية

إشراف
عبدالله هاشم

التدقيق اللغوى / محمد السخاوى

الرسوم الداخلية والغلاف / رضوى عادل

نادية البرعى

وَجْهٌ فى السَّحَابِ

قصص قصيرة

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية
دار الكتب والوثائق القومية

الإهـداء

إلى من علمنى

كيف أكتب إسمى

حتى لا أنسى من أكون

إلى أبى ...

كلماتٌ

وهَجَرْتَنِى .. حين تعثرتْ خطواتى .. وتلعثمتْ عيناى فلم تبوحا بشيئٍ مما يشعر به قلبى .. وشق سكونَ الصمت نبضٌ صارخٌ من كيانى وخفقاتى .. لا يشعرُ بى إلا ضلوعى ، وفؤادى الذى انفطر ، وتركتَ لى أحزانَ السنين كؤوسًا مرصعةً بالصبر ، تحتوى دموعًا ذرفتُها فى هدوءٍ .. تقول بغير حديثٍ .. ما زلتُ أحن .. وما زلتُ أتحدثُ معه وإليه .. عبر الأوراق الخضراءِ التائهةِ التى لم تعد تعرف له مكانًا .. وتستمر تسألنى ..

ـ أما زال يحيا فى هذا الزمان ؟!

فلا تسكب أحلامى على أرض الواقع .. فلن ألملمها ..

فحيث يكون الحلم أتمنى .. أن أراكَ ... أنتَ !!



الشجرةُ

بجذع الشجرة التصقنا ، ثم تعلقنا بأطرافنا الصغيرة التى بدأتْ فى النمو ، تحركتْ الشجرةُ فى جميع الاتجاهات ، نمتْ جذورُها وتوغلتْ فى باطن الأرض حتى وصلتْ إلى مركزها، تفرعتْ الأغصانُ، تشعبتْ ، استطالتْ وتطاولتْ حتى وصلتْ إلى القمر ، من شجرةِ الأحلام هبطنا .. كنا فى عالم الغيب ثم أتينا لنعمِّرَ الأرضَ .

ساعاتٌ

أخافُ من الزمن ، أراقبُه وأترقبُ مفاجآته ، أضعُ الساعاتِ والمنبهاتِ فى منزلى بتوقيتاتٍ مختلفةٍ ، أحب الحياة لكن دقاتِ قلبى المتسارعة تشيرُ إلى نفاد الوقت ، قلبى قطارٌ يريدُ أن يعبرَ الحدودَ المتناهية ، فى اللانهاية تختنقُ الأنفاسُ ، تبْهتُ الكلماتُ ، تتباطؤ الخطواتُ .. أراهم جميعًا أمامى .. أبى ، أمى ، أخواتى ، أقاربى ، أحَبَّ الناس إلىَّ والذين صعدوا قبلى ، يحيطون بى ، أشمُّ رائحة المسك والعنبر ، أريجَ الزهر المتفتح بندى الأحباب ، أنفصلُ عن كل المعطياتِ الزائلةِ .. أتمسَّكُ بما هو قادمٌ .. لا أخافُ ، لا أراقبُ أىَّ شيئٍ.. ألملمُ أشيائى غيرَ المرئيةِ .. أستعدُّ للرحيل .. توقفتْ كلُّ الساعاتِ .. فلا رنينَ .. ولا انتظارَ .

فولاذ

متخفيةً بأستار الليل .. تحركتْ إطاراتُ سياراتِ النقل الكبيرة تحفرُ علاماتها فى الطريق الرملى .. حمولتها الضخمة من ألواح الفولاذ الطويلة السميكة تهزُّ السيارات التى تتابعت فى صف طويلٍ لا آخرَ له .. !!

وسط الرمال بدءوا فى غرس ألواح الفولاذ ، تتمزقُ الملابسُ السوداءُ ، تخبو الابتساماتُ الصفراءُ .. تحلقُ الغربانُ فى سماءِ الظلمِ .. أمَا من نهايةٍ ؟! حين أشرقتْ الشمسُ .. أطلق النهارُ صيحته :

ـ انتبهوا .. ؟!

فإذا العالم كله .. يخلع قطع الفولاذ .. يثبت إطارات السيارات ، يلقى بالحجارة على غارسى الأشواكِ .

اجنحةٌ

جلسَ القرفصاءَ .. الغرفةُ مغلقةٌ .. الارضية بازلتية سوداء ، رفع رأسه ، مسح بعينيه الجدران الأربعة التى حفر عليها بأظافره أسماءَ وتواريخَ .. رسمَ بقطراتٍ من دمائهِ صورةَ أحبّائه الذين كفُّوا عن زيارته ، نظرَ إلى أعلى .. السقفُ يرتفعُ ويرتفعُ ، ويرتفعُ ثم اختفى ..... نظر إلى ذراعيه اللذين تيبسا من شدة الصقيع .. فردَ جناحيه ، وطار !!

رحيلُ المساءِ

جنَّ الليلُ ، ونادى جحافل الظلامِ..... هلموا أزيحوا وجهَ النهار ، وقف على قمة أعلى جبل فى البلاد ، فرش عباءته السوداء ، أظلمتِ الوجوه ، أُغلقتْ الأبوابُ والأفواهُ .. تساءلوا :

ـ كم سيمكثُ الليلُ ؟ .. سويعاتٍ .. سنواتٍ ؟!

لكن الشروق تسلل من خلف غلالاتِ الظلمة ، انطفأتْ النجومُ أضاءتْ الوجوهُ .. فُتّحتْ العيونُ .. نادى الصباحُ :

ـ تعالَوا ..نُحيّى رحيلَ المساء !.

صحراءٌ

مرَّتْ أمامَه كالطيف ، لم يستطعْ اللحاقَ بها .. تلفَّت حوله ، وحدَه فى المكان المقفر .. كيف أتتْ إلى هنا ؟! سنواتٍ يسكنُ الصحراءَ بلا أنيسٍ أو جليسٍ ، يحدّثُ نفسَه.. ينادى النجومَ المطلة عليه من السماء يرفع كلتا يديه محاولاً لمسَها ، يلتقط حفنةً من الرمال يقذفُ بها بعيدًا ، تتناثرُ الرمالُ ، تأتى الرياح .. تحمله بعيدًا .. يتبعها باحثًا عنها حتى يطلع النهار .

غموضٌ

جاءنى معاتبًا .. عيناى تؤلمانى .. ولم تسألى عنى ..!!

أجلستُه أمامى .. أتفحصُ عينيه .. أتلمسُ الجفنين ، الرموشَ الطويلةَ الكثيفةَ ، البؤبؤَ الضيقَ .. أحاولُ أن أسبرَ أغوارَه ، أن أنفذَ إلى خلايا مُخه ، أتلصصَ على أفكارهِ أو أسحبَها بخيوطٍ سحريةٍ من عينيهِ إلى عينىَّ ، تذوبُ أصابعه بين يدى ، ينصهرُ كقطعةٍ من الثلج .. تسلل إلى شراييني الملتهبة .. أطفأتُ كل الأضواء .. غلّقتُ كل الأبوابِ .. وسكبتُ بعضًا من تحنانى داخل عينيه ... !!

كان .. أبى

حين فاضتْ روحُه فى صباح يومٍ مطير .. كانت حباتُ المطر متفرقةٌ، تطرق طرقاتٍ خفيفةٍ على نوافذِ البيوتِ والأبواب ... ثم انهمر المطرُ بشدةٍ وغزارةٍ .. ينتهى المطرُ ، ويسجد الجسد لبارئه ، يفوح عطرُ الوردِ فى النسماتِ ، وترفرف أجنحةُ الطير فى هدوءٍ صاعدةً .. تحملُ على أجنحتها أحزان البشر وآلامهم .

استجابة*

وقفتْ أمامه ترتجف .. يهز الخوف قلبها .. تحاول أن تتكلم .. يخذلها صوتُها ، وهو بقامته المهيبة وصوته الأجش يُعنّقها .. يُحقّرُ من شأنها .. يرفع كومة َالأوراق من على المكتب ، يُلقى بها فى وجهها .. تتناثرُ الأوراق عليها ومن حولها ، تنحنى .. تجمع الأوراق .. تخنقها دموعها ، تقف ناظرةً إليه .. تطيلُ النظر، يجلس إلى مكتبه.. يرفع سماعة التليفون الذى أزعجه برنينه المتسارع، ينشغلُ بالرد على المتحدث، تحدثها نفسها الدعاء عليه أن يموت على هذا المكتب؛ تستدير وتخرج، تغلق الباب خلفها...تـُغلق الباب خلفها، فى الصباح الباكر يفتحُ عامل النظافة باب الغرفة يتسمر فى

مكانـه .. ذو الصـوت الأجش منكفـئٌ علـى مكتبـه وخـيطٌ
من الدم ينحدرُ بجانبِ شفتيه .

إختفاءٌ

رأيتُك .. تتوسطين السماءَ .. تجلسين بجوار الشمس .. لكنك لا تحترقين !! ابتسامتُك تغطى الكونَ .. ، وفى المساء تجلسين بجانب القمر الذى يستحى من ضيائك فيتوارى خلف السحابات السابحة فى الفضاء اللانهائى .

تهزنى أوجاعى ويجتاحنى شوقى إليك .. لا يسمع همس رجائى إلا أنت !! أتمدّدُ فى فراشى وحيدًا .. غريبًا .. يأسرنى النوم ، أتيتِ تخترقين كل الحواجز والحجب ، تلمسين أوجاعى بأناملَ من حرير ، تبثين شعاعاتِ الأمل داخلَ روحى ، تمسكين قلبى بكفيك .. تغمسينه فى وعاءٍ من بلور يمتلئُ بعطر الصفاء والنقاء والطهر تنصهر كل أوجاعى .. تتفتح النوافذ من حولى ..

تدخل أسرابٌ من طائرٍ فضىٍّ يرفرفُ حولى ..يكادُ الهواءُ يحملنى على جناحين .. لكنك تسارعين إلى الفضاء الممتد أمامنا.. تتسع عيناك .. سفينةٌ كبيرةٌ شراعُها أهدابُك الكثيفة .. أدخل فى السفينة .. واختفى!!

سؤالٌ وسؤالٌ

بأصابعى أمسكُ بشعاع الشمس ، أحتمى بضوءِ النهـار ، أنــادى المجهـول الـذى أعرفـه .. مُرحّبـًا يـأتى يطـرق أبوابى إلى متى أنتظر ؟! أهتف بصوتى الحزين .. لماذا لا تكتملُ أحلامى أبدًا ؟! لماذا أصحو قبل النهايـة .. هل أحلم بالنهـار أم أنتظـرُ الليـل .. أأسمعُ حديث النجوم أم أداوى جـراحَ القمـر ، هـل أصــاحب سـحابةً تائهـةً ؟! أم أرتدى ثياب القهر وأستسلم ؟! هل أحمل سيوفَ العدالـة أم أضــعُ قنــاع الخســة والنذالـة ؟! هـل أروى الأزهـار بدموع الصباح أم أقتلع كل الأشجار ؟!

يقولون .. أنتِ .. عميقةُ الأسرار ؟!

أما أنا ..فسرّى عنده هو .. حين صنعت من أحلامى

قصـورا ، ووديانـا تمتلـىء بالآمـال والأمنيـات ، حـين زرعت أزهارا متفتحة على الدوام فلا تـذبل أبـدا .. حـين إخترقت جبال النسيان ووضعت فـى كهوفهـا كل أحزان قلبـى .. تتلاحـق أنفاسـى تتصـاعد أبخـرة سـاخنة ملتهبـة تنطلق تحطم كل القيود .. تهدم كل الحواجز .. تسبح بل تطير إليه .. تأبى أبدا أن تنهدم كل الأحـلام فأنـا أصـارع الأسرار ولا أبحث إلا عنهـا .. نفسـى !!

قلبى .. أنا

فتحوا صدرى ، أخرجوه من بين الضلوع ، قلبوه بين أيديهم ، قطعةً من اللحم كان الدم ينبثقُ منه منذ لحظاتٍ غيروا صمامين فيه.. كان الهدوءُ يحيطُبى من كل جانب ، كلٌّ شئ تغير .. الكرة الأرضية أصبحتْ أرضًا منبسطة بيضاءَ ونقية ، نظيفة ، الكواكب تلف وتدور، تصعد وتهبط تتحاور وتتسابق ، النجوم تشعُّ ألوانًا بديعة متداخلة فى تآلفٍ وجمال ، الأشجارُ والأطيارُ ، الوجوه والبحارُ والأنهارُ .. كل شيئ يبتسم ، تسامتْ الكائناتُ ، أصبحنا جميعًا نسبحُ فى بهاءٍ و محبةٍ، تعالتْ التسابيح والتكبيرات وانتشر النور ...

أعادوا قلبى إلى مكانه، أغلقوا صدرى ، لكنى أنا وقلبى رفضنا أن نعودَ من الضياءِ الذى نسبحُ فيه .

نبضاتٌ

أتانى قلبُها ينبضُ على استحياءٍ .. وضعتُ سماعتى الطبية على صدرها .. نبضاتٌ حائرةٌ .. مضطربةٌ .. خائفةٌ. هى .. شاحبةٌ ، صغيرةٌ ، ضعيفةٌ تتردد أنفاسُها بصعوبة تصارع لحظاتٍ من العمر قد يبقى ، وقد يحمل بقاياه ويرتحل ، أعوامى الخمسون أشفقتْ على أعوامها العشرين ؟! ، الأعوامُ النابضةُ، المزهرةُ، المشرقة الصارخةُ بالحيويةُ والشباب تئن فى تضرع ورجاء !! لا تشكو .. لا تحتج .. تستسلمُ لوخزاتٍ تمنحُها بعضًا من حياة .. صمتُ الآلام يرتدُ إلينا ابتساماتٍ باهتةً .. ومضاتٍ من نور يلمعُ فى عينيها .. بقايا دموعٍ .. أصبحتْ ملازمًا لها .. أمرُّ عليها صباحًا ومساءً ..

أطعمُها بيدى .. أعطيها الدواءَ ، حتّى وأنا وحيد فى بيتى أراها أمامى ، ترقد فى فراشِها كطائرٍ جريحٍ.. أهتفُ باسمها فى أحلامى .. أبدّل أسطوانة الأكسجين بنفسى ولا أسمحُ لأحد بالاقترابِ منها .. لا يأتى أحدٌ لزيارتها .. أحملُ لها أزهارَ البنفسج التى عرفتُ أنها تعشقها ، أقرأ لها أشعارَ إبراهيم ناجى ، أفرح حين تبتسمُ فى وهنٍ ، تشرقُ شمسُ حياتى حين أراها تتنفس. فى الصباح الباكر .. استدعتنى الممرضة المسئولة .. أدخلناها غرفة الإنعاش .. لمحتُ نبضاتها ترفرف على أجنحة الطير العائد إلى عشه فى المغيب !!

سفينةُ نوح

للمرة الأولى أسمعُ عن جزيرةٍ اسمُها ساموا .. قالوا إنها تقع فى جنوب المحيط الهادئ ..

أعلن الرئيسُ الأمريكىُّ أنها منطقةُ كوارثٍ كبرى ، زلزال كبير هاجمها بقوة. دمار وضحايا كثيرين نشاهدهم على شاشة التلفاز ، أحضرتُ أكبرَ خريطةٍ للعالم ، رأيتُ الماء يحيطُ باليابسةِ من كل جانب ، يتضاءلُ العالم أمامى شيئًا فشيئًا ، أصبحَ كل ما فيه متصلاً متواصلاً ..

لا حواجزَ ولا حدودَ ، يتزاحمُ كلُّ شيئٍ فيه ، يتصارع ، يتناحر ، يتضارب ، حتى الذبذبات المتناهية فى الصغر تسافر عبر البحار ، تخترق السماء ، تصرخ فى الأثير

أن يهتز ، يتحرك ، يعبر كل شيئ ، يربطُ كلَّ شيئٍ بكل شيئ ، أمعنتُ النظرَ، ينتابُنى إحساسٌ بالمطر، بل بالقطراتِ الندية تنسابُ فى هدوءٍ ، بدأ الماءُ يحيطُ بى من كل جانبٍ، يتسربُ عبرَ النوافذ تحت الأبوابِ، يخترقُ الجدرانَ ، تتجمدُ القطراتُ الرطبة .. تعلو .. ترتفعُ، كل شيئ يهبط إلى أسفل حتَّىّ ناطحاتِ السحابِ، الجبالُ والوديانُ تنطمرُ .. أبحثُ بكل قوتى عن شيئ أتعلقُ به ... قطعةٍ من الخشب ، شراعٍ، مجدافٍ ، قاربٍ .. أىّ شيئ يمنعنى من الغرق ، أقاومُ .. أصارعُ، أصعدُ فوقَ سطح الماء ثم أهبطُ سريعًا إلى القاع .. أما من شيئٍ يحملنى إلى برِّ الأمان ؟!

أغمضُ عينىَّ .. أنتظرُ النهاية .. تقذفنى الأمواج .. أجدها هناك .. رابضةً .. صامدةً .. أتسلقُ .. أصعد ، أجد فيها كلَّ شيئ يختلط بكل شيئ لكن الأمواج العاتية

الهادرة الصاخبة تعلو .. وتعلو .. تكاد السفينةُ أن تنقلبَ .. تتأرجح .. يعلو الضجيج أكثر وأكثر .....!!

فى ركن بعيد جلسوا ، تتشابك الأيدى ، تتقارب الوجوه لا تسمع إلا همهماتٍ ودعاء .

الظلام يحيط بنا من كل جانب .. هديرُ الأمواج يصك الآذان ، تسيرُ السفينة .. ترتج ، تهتز وكأن ملايين الأيدى تشدها إلى أسفل ، أتشبث ، أتمسك بهم، أضع يدىَّ بين أياديهم .. يصمتُ كلُّ شيئ .. يهدأ الموج .. أرى يدَه تمتدُ لنا .. القادم من بعيد !.

كنتُ هناك

بسرعة .. أدخلونى غرفة العمليات بالمستشفى الاستثمارى الكبير ، لابد من إجراء العملية فورًا .. الزائدة الدودية تكادُأن تنفجر .

بدأ طبيبُ التخدير بوضع سن الإبرة فى وريدى .. تسللتْ قطراتُ المخدر إلى دمى .. سألنى أن أعد من واحد لعشرة .. ثقّل لسانى ، تداخلتْ الرؤى ، تضاعفتْ ثم تضاغطتْ ، الأصواتُ تأتينى من بعيدٍ غامضةً مبهمةً، الأضواءُ .. تتخافتُ .. اصطفوا على الجانبين بملابسهم البيضاء يبتسمون .. يرحبون بى .. يشيرون إلىَّ .. أن أدخلَ ..! لا أرى إلا فتحةً سوداءَ عميقةً .. بلا حدود ولا أبعاد ، نظرت إليهم دهشًا .. حائرًا ..

مازالوا يشيرون إلىَّ دفعونى برفق إلى الفتحة العميقة ، تراجعوا .. وحدى بلا همسٍ ولا ضوءٍ .. بسرعة كبيرة أندفعُ بداخلها .. لا أقدر أن أتوقف .. أحاول التماسُكَ أو التشبُثَ بأى شيئٍ.. لكنى أندفعُ وأندفعُ .. فى نهايةِ السردابِ المظلم .. ألمح ضوءًا باهرًا .. تتحدث أمامى كل الألوان السرمدية بحديث الجمال والنشوة .. تتصاعد الأبخرة ، تتفتح الأزهار بسرعة مذهلة .. ترفرف الطيور حولى فى ردائها النورانى ، تقف هناك صديقتى التى رحلتْ منذ شهور .. ترتفع فى الهواء تطير ، تحلق بلا جناحين .. أحاول اللحاق بها .. تسبقنى يمتدُ الطريق بلا نهاية ، لمست طرفَ ثوبها .. صعدتْ وتركتنى .. !!

أفتح عينى .. أرى أمى بجوار فراشى .. تمسك بيدى :

ـ الحمد لله على السلامة .. ألف شكر لك يا رب ..

ـ أين أنا ؟!

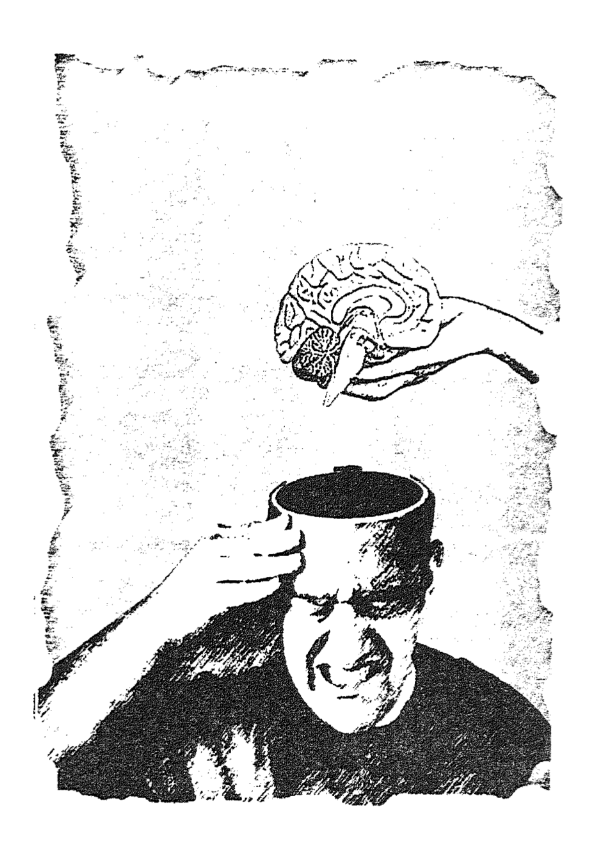
ـ فى غرفة الإنعاش .. أخبرنا الطبيب أن قلبك توقف لمدة دقيقتين !!.

هى .. وأنا

دخلتُ إلى غرفتها مسرعةً ، أتلهفُ على رؤيتها وأن ألقى بنفسى فى حضنها الدافئ الذى يتسع لى وللدنيا كلها قبلتنى فى رأسى وخدّى ويدىَّ ، احتوتنى بذراعيها ، اسندتُ رأسى على صدرها أتسمَّعُ دقات قلبها الواهن .. أخرجتْ من جيبها الأيمن كيسًا مملوءً بالحلوى التى أحبها .. أعطتنى واحدة .. فثانية فثالثة .. رمقتها أمى بنظرةٍ متحفزةٍ .. يكفى هذا .. نستعدُّ للغداء أجلستنى بجانبها ، أحاطتنى بذراعها الأيسر ، وضعتْ رأسى على فخذها اللين ، أخذتْ تمسح على شعرى بأصابعها الندية التى تتخلل كل أعصاب رأسى فيسرى فى داخلى خدرٌ جميلٌ يُثقِل جفنىَّ ، يهتزُّ الفضاءُ فىعينى ، تتراجع مصابيح الغرفة وتتوهج، أسبح فى

الفضاء اللانهائى .

رأيتها تقف بردائها الأبيض بين الأشجار والظلال .. لها قلبان ينبضان ، تعزفُ النبضاتُ ترنيماتٍ كأغنياتِ البلابل حين تتنقل بأرجلها الدقيقة بين الأغصان ، طرتُ.. حلّقتُ أرفرفُ حولها .. تأتى الفتياتُ الصغيراتُ تحملن كؤوسًا من الذهب والفضة ، تصب كلُّ واحدة العسل واللبن حتى يتحول المكان إلى بحيرة صافية كبيرة ، أغوصُ معها فى البحيرة فأقبضُ بكفى الصغيرة على اللؤلؤ والياقوت .. أصنع لها تاجاً أضعه على رأسها .. يتحول القلبان إلى قلبٍ واحدٍ كبير تُدخلنى فيه وتغلق أبوابه ، أزداد التصاقًا بها .. فلا نفترق .



ذاكرة*

التففنا حولَ أستاذِنا الكبير الذى أمسك بالمِشرط والمِلقط بأصابع فنان ، تخطى السبعين أحمر الوجه أزرق العينين من أصول أرمينية .. يعمل كأستاذٍ زائر ، يشرح لنا ما خفى علينا من معلومات ، فتح الجلد ، أزال طبقة الدهون باعد بين العضلات ، أخذ يذكر أسماء الشرايين والأعصاب والأوردة بأسمائها اللاتينية والإنجليزية ، تعجبتُ .. ألا تتآكل قشرة المخ بعد سن الخامسةِ والستين؟.. ألا تختفى ذكرياتنا ؟.. أو تهرب منا إلى القاع السحيق ؟ .. ألا يحكى لى جدى نفس القصة عشرات المرات ظنـًا منه أنها المرة الأولى التى يقصها علىَّ ؟!! وأستمع وأستمع .. غاب وعيى عن المكان .. لماذا أتعب نفسى وأدرس وأقرأ وأحفظ ،

وأمامى مخُّ هذا الرجل يحتوى كلَّ ما أريدُ .. ألصقته بمقعده .. أخرجتُ منشارى من حقيبتى ، أزلت ما تبقى

من شعره الفضىِّ .. فتحتُ جمجمته .. بدا لى مخه بتلافيفه وتعرجاته ، أوعيته الدموية الحمراء والزرقاء ، صاعدة غائرة تتفرع وتتلوى كأنها مئات الأفاعى تخرج لى ألسنتها ، لم أهتم ولم أهتز فأنا مصرّة على إنهاء ما بدأتُ ، أىَّ ذاكرة أريدُ ؟.. العلميةَ؟ السمعية ؟ البصرية؟ العاطفيةَ؟ ... لماذا لا أستأصلها كلَّها معًا وأستريحُ؟.. صرخَ الرجلُ :

ـ ماذا تفعلين برأسى ؟!

أجبْتُه دون النظر إليه :

ـ آخذ ذاكرتك .

ـ اتركى ذاكرتى كلها فى مكانها .. أغلقى رأسى واتركينى أكمل الدرس !

لماذا أتعب نفسى بمناقشة عقيمة لا جدوى منها .. ؟

ولماذا أتعب نفسى فى الدرس والبحث والتمحيص والتدقيق ؟ .. لماذا أتخلى عن كل المتع المتاحة لى .. ؟! كيف أتخلى عن صحتى وشبابى وأنا أمامى كلُّ شيئ هنا.. ؟!

التفَّ الجميعُ حولنا .. لم أسمع صدى الأنفاس المحتبسة، لم أشاهد العيون المتابعة لما أفعل .. لم تتصلب الشرايين لم تشِخْ الأنسجة .. كل شيئٍ هيِّن ليِّن أمامى .. أقطع هنا وأغرس أدواتى فى نسيج المخ ، أخذتُ كلَّ ما أريد ووضعته فى وعاءٍ كبير يحتوى على سائل حفظ الأنسجة صرخ أستاذنا الكبير مرة أخرى .. متلعثمًا :

ـ أتقفون تتفرجون عليها وهى تنتزع منى تاريخى ، عمرى ، حياتى .. ؟ افعلوا أىَّ شيئٍ.. انقذونى منها !!

رددتُ وأنا أتأهب للخروج :

ـ ماذا ستفعل بكل هذا ؟ لستَ فى حاجةٍ إلى أيةِ ذاكرة ، سأزرعُ كلَّ شيئٍ فى رأسى أنا !!

ـ هم يحتاجون إليها أكثر منى .. !!

بدأ الأستاذ يتأتئ .. يتلعثم .. يتخبط ..

ـ من أنتم .. ؟ من أنا .. ؟ من أوجدنى فى هذا المكان .. وماذا أفعل هنا .. ؟!

التفَّ الجميعُ حوله .. شققتُ الجموع .. توجهتُ نحو الباب .. هرولوا ورائى حاولوا الإمساكَ بى .. ألقيتُ ما تبقى من مخ أستاذى إليهم ، تلقَّفوه .. حاول الآخرون

اللحـاق بـى .. خلعـتُ معطفـى الأبـيض ، ألقيتـه إلـيهم ، أسرعتُ الخطى .. ركبتُ سيارتى .. وانطلقتُ .



أصدافُ بهيةٍ

وقفتْ على أعلى هضبة فى الجزيرة النائية .. أشعة الشمس تخترق عينيها ، تجعل من كفها مظلةً صغيرةً تحجبُ بعضًا من هذه الأشعة المتوهجة عبر المدى البصرىِّ لها .. تنظر هنا وهناك .. طائر النورس يرفرف حولها ، ينقضُّ على صفحة الماء يختطف من رزقه ما تيسر ثم يصعد متباعدًا ويعود صائحًا كأنه يسألها :

ـــ لماذا أنت هنا ..؟ الليل حتمًا سيُرخى أستاره ، ستحتويكِ العتمةُ .. فكيف تعودين ؟ !

تهتف لنفسها :

ـ لا أعود إلا .. حين يعود !!

يدٌ قويةٌ تقبض على ذراعها .. أتتْ أمُّها تصحبُها للبيت القديم الخالى .. إلا من الحُبِّ .. الهواءُ الباردُ يوقظ ذاكرتها .. هنا جلسا معًا .. صغارًا .. تغزلُ الشبك ، وهو يربط العُقَد .. تتلامسُ الأصابعُ .. تتناجى العيون .. ترفرفُ القلوب .. يجمعُ لها الأصدافَ الصغيرة .. تصنعُ منها عِقدًا يطوق الجيد المرمري ، حين انتهى من الدراسة فى مدرسة الصنايع ضمه أبوه لطاقم المركب .. تخرج لوداعه ، وتعود لانتظاره .. يأتى لها بأصداف كبيرة .. كثيرة ، تحتفظ بها فى صندوقها الخاص أسفلَ السرير الحديدى ، تهمسُ للأصداف .. تحكى لها :

ـ أحين يعود هذه المرة .. سنتزوج ؟!

تتسابُ أدمعُها داخلَ الأصداف التى تحتفظ بأسرارها .. فلا تبوحُ بها لأحد ، طالت الغيبةُ .. خمسة شهور .. لا

أحدَ يعودُ .. حتى الأمواج الهادرة تسأل عنهم .. كل الجزيرة تتسمع الأخبار .. القراصنة .. خطفوا المركب؛ صاحتْ فى لوعةٍ :

ـ قتلوهم .. ؟!

عادت منهزمةً .. تحطمُها الظنون ، يفتك بها القلقُ .. ارتمت على سريرها المتهالك الخائف المترقب .. أخذتها قدماها إلى البحر .. تسير على الماء .. أزاحت الزَّبَدَ جانبًا ، هبطتْ إلى أسفل حتى القاع .. الظلامُ شديدٌ .. الصخور تعوق تقدمها ، صرختْ تطلبُ النجاة دفعتها يدٌ برفق .. حورية البحر .. عيناها الواسعتان ، شعرها الغزير المنسدل حول الجسد الأرجوانى يصل إلى نيلها القوى .. قدمت لها صدفةً كبيرةً ..

ـ اجلسى هنا ..

ـ إلى أين ..؟!

ـ ألا تبحثين عن حسين ؟!

تدفعها .. تجلسها وسط الصدفة .. تختفى الصخور .. يسودُ الصمتُ الهادئ، لا تسمع إلا نغمات وكلمات تحفظها هى ، وهو ..

ـ أنا فى بحر الأمل أرمى شباكاتى ..

وأعمل إيه يا ناس لو تاهت مسافاتى ؟!

تتوقف الحورية أمام القصر الكبير .. تأخذ بيدها .. تصعد السلم الرخامى ، تدخل البهو الواسع .. كل الكائنات البحرية اصطفت على الجانبين منحنيةً محيية ًجمالها الفطرى .. تشاهد الحبيب المختطف .. يجلس على العرش المرجانى ممسكًا بالصولجان الذهبى ، متوجًا بالتاج الياقوتى .. ينهض باسطاً يده لها .. ترتمى

فى أحضانه ... يدٌ قويةٌ ..تهزها بشدة ..

ـ قومى يا بنت .. قومى بسرعة ..

تفتح عينيها ..مذهولةً.. بعينين نصف مغمضتين متسائلتين ..

ـ قومى يا بنت .. البلد كلها على الشط !

انزلقتْ تحت السرير الحديدى .. شدَّتْ صندوقها الخشبى فتحت صندوق الأسرار .. أخذتْ قلبها معها ، وانطلقتْ إلى الشاطئ .

أعِذْهُ .. لى

عاد ابنى من المدرسة يرتجف ، لم يتمكن من تناول طعام الغداء ، وضعتُ ميزانَ الحرارةِ فى فمِه .. يشيرُ الزئبق إلى الدرجة المئوية التاسعةِ والثلاثين ، تناول مخفّضَ الحرارةِ ، جلستُ إلى جانبه أضعُ الكمّادات الباردة على جبهته ، تنخفضُ الحرارة درجة واحدة ، ثم ترتفع .. عند المساء وصلتْ الحرارة إلى الأربعين ، فى الصباح ارتفعتْ إلى الواحد و الأربعين .. عند الظهر إلى الواحد والأربعين ونصف . أحضرتُ الطبيبَ الذى أشار إلى ضرورة نقله إلى المستشفى .. رفضتُ .. سأداوى ابنى فى المنزل .. نبَّهنى الطبيبُ إلى أنها حصبة وأنها المرة الأولى التى يرى فيها طفلاً مصابًا بحصبة شديدة بمثل ما يراه فى حالة ابنى .. الطفح

الجلدى بسيط ، لكنه يتكاثف فى وجهه وصدره .. نظر إلى أولادى الثلاثة قائلاً :

ـ خذى بالك ممكن الثلا ثة يمرضوا .. خليهم يناموا فى غرفة تانية ..

ـ الجميع تم تطعيمُهم بكل أنواع التطعيمات حتى مصل الحصبة أخذوه فى عيادة طبيب الأطفال الذى كان يتابعهم منذ ولادتهم .

ـ الأحسن تنقليه إلى المستشفى .

ـ أنا وحدى مع أولادى .. أين يذهب هؤلاء الثلاثة ؟ .. زوجى مسافر ، وأهلى يسكنون بعيدًا عنى ..

فى اليوم الثالث .. لم يفتح ابنى عينيه .. احتوته الغيبوبة أنفاسه بطيئة ، أضع أذنى على صدره حتى أسمع دقات قلبه .. أستغيث بلا صوت، أبكى بغير دموع ، ثلاثة

أيـام بلياليهـا الطويلـة ، الكئيبـة .. أعطـى ابنـى الـدواءَ بالقطـارةِ حتـى يبتلعَـه ، أضـعُ كمَّـادات الثلج .. الحرارة أربعـون ثـم إحـدى وأربعـون ونصـف درجـة مئويـة .. أتصـلُ بالطبيـب .. يحذرنى إذا ارتفعتْ الحـرارة حتـى الثانيـة والأربعين .. مـات .. سيتخثرُ الـدمُ فـى الأوعيـة الدمويـة .. حتـى المخ سيتوقف عـن العمـل .. وضـعتُ سماعة التليفون وقد عجز عقلـى عن التفكير ..!! انتشـرَ الطفحُ .. أذن المؤذن لصـلاة الفجـر .. توضـأتُ ، وقفتُ أصـلى .. وأنـا سـاجدة فاضـتْ دمـوعى وفـاض قلبـى بأحزانه ، توسلتُ إليه:

ـ يا رب .. ..

تتساقط روحى دموعـًا علـى سجادة الصـلاة يهتز قلبى الذى كاد أن ينفطر ، أجلس على مقعدى بجوار ابنى ..

أضعُ على رأسه قطعة قماش بللتها بدموعى .. يتسلل

إلـــى عينـــى النـــوم .. أرى أطيافـــًا تقتـــرب منـــى .. تصـارعنى ، تمزقنـى .. تفتح صـدرى ، تـُخرج قلبـى ، تحاول أن تـهرب بـه ، أعدو خلفهم ، أهاجمهم .. اختطـف قلبى من أياديهم .. أعودُ به .. أضعه فى مكانـه .. أضـمّد جراحـى .. أفـتحُ عينـى ، أضـع ميـزانَ الحـرارة .. إنـهـا ثمانيـة وثلاثـون درجـة مئويـة ..التقط أول أنفاسـى ، بعـد ساعتين الحرارة سبعةٌ وثلاثون ونصف درجـة مئويـة .. تعود إلىَّ روحى ، يفتح ابنى عينيه ..

ـ ماما .. عاوز أشرب .



صلاةٌ

أتى يسلمُ عليها قبل أن يذهبَ لقضاء إجازةٍ مع عائلته فى المدينة القريبة ، احتوى كفَّها بكفيه .. تلاقتْ عيناهما ، أحسَّتْ بارتعاشةِ أصابعهِ ، ارتجَّ فؤادُها .. خافت أن تسكبَ أحلامها على أرض الواقع .. بصوتِها الهامس .. قالت :

ـ كل عام وأنتَ بخير .

ـ وأنتِ بخير .. أتأتين لحضور القدَّاس الكبير معى الليلة؟!

باغتها سؤاله .. عقدتْ الحيرةُ قدرتها على الإجابة ..

لاحظ ترددها .. أراد أن يرفعَ الحرجَ عنها .. ..

ـ آسف .. نسيتُ

سأحضران شاء الله.. سأحضر ..

لم يصدق ما سمعه .. ظنَّ أنها تجامله .. ودَّعَها كأنه لن يراها إلى الأبد !!

صلتْ العشاءَ .. ارتدتْ ملابسها وخرجتْ .. لمحته من بعيدٍ ، يقفُ بين أصدقائِه يبحث .. يتلفتُ .. ينظرُ فى ساعته .. يتحدث إلى من حوله وكأنه ليس معهم ، فتيات كثيرات تحطن به .. وسامته ..أدبه الجم .. النظرة الحزينة النائمة فى عينيه تدفع الكثيرين للتوددِ إليه .. وقفت فى مكانها .. تراجعتْ خطوتين ، عاودها ترددها ماذا سيقول الناس عنها ؟! معظم الملتفين حوله يعرفونها فهم زملاء العمل ، أتعود من حيث أتتْ ؟؟ تتألم .. الشوق فى صدرها يدفعُها للتقدم لكن توقُّع ردود الفعل يُغريها بالتراجع .. أيعلم ما تقاسيه ؟! أيشعرُ قلبُه بها على البعد ؟.. أتحملُ نسائمُ الشتاءِ البارد كلَّ لهيب

المشاعر وإحساس المحب بالحبيب ؟! يفرحُ قلبُها لمرآه ضاحكـًا باسـمًا .. وعدتـه بالحضـور .. فكيـف تحنـث بوعدها ..؟! هى تعلم جيدًا أنه لن يكون لها .. ولن تكون لهُ ، فهو المستحيل !!! حزمتْ أمرها ، تقدمت بخطواتٍ ثابتةٍ .. مصرّةً هى أن تكون معه فى هذا اليوم ، دُهش لمرآها أمامه .. حاول أن يرحب بها لكن الأجراس .. دقَّتْ .. اصطحبها إلى داخل الكنيسة ، الجمع غفير .. الأضواء .. الموسيقى .. رائحة البخور.. الشموع التى تنحدر دموعها على أيدى حامليها .. كل ما يحيط بها يدفعها إلى عالم آخر لم تتواجد فيه من قبل ، بدأت الصلوات والتراتيل ، نظرتْ إليه من طرفٍ خفىٍّ ، دمعاتٌ حزينةٌ تنسابُ على خديه يمسحها بأطراف أصابعه وينظر إليها بقلبٍ ينتفض ، تمنَّت أن يكونا معًا فى العالم .. وحدهما .. ربما فى الأرض أو فى السماء.!

الأمل يشدُّها إلى عالمه وتشدُّه هى إلى عالمها ..

العالم واحد .. لكن الطقوس مختلفة .. !! مازالت تنصتُ إلى التراتيل التى لم تفهم كلماتها .. انتهت الصلوات .. طاف الشماسون يجمعون التبرعات ، وضعتْ فى الوعاء المقدم إليها مبلغًا صغيرًا أخرجته من حقيبة يدها على استحياءٍ.. نظر إليها مبتسمًا .. الزحام شديد أويا معًا إلى أحد الأركان الهادئة حتى يهدأ الزحام وينفتحَ الطريقُ إلى الباب الكبير ، مازالتْ أذناها تتسمعُ نبذباتِ الموسيقى المتصاعدة من البيانو العتيق ، لكن وقع دقات قلبه تسمعه أكثر وأكثر .. تركها لحظاتٍ ليساعدَ عجوزًا لا تقدر على النهوض وحدها ، عاد إليها لم يجدها ..

وحدها تمضى فى الشارع الطويل الذى يئن تحت أقدام البشر .

وحيدٌ

كان متفردًا فى شكله بين أفراد عائلته الكبيرة ، بشرته السمراءُ المنغمسةُ فى اللون الوردىِّ ، شعرُهُ شديد السواد شديد النعومة المتهدّل على جبهته العريضة ، أذناه الصغيرتان تسمعان دبة النملة ، عيناه السوداوان عميقتا النظرة ، شفتاه المبتسمتان دائمًا .. الدنيا فى نظره ضحكة يبدأ حديثه بالنكات وينهيه بضحكاته الصاخبة فى حوش منزلهم الكبير، ترتيبه الخامس بين الأولاد والبنات العشرة .. لكنه يحملُ همَّ الأسرةِ كلِّها وخاصة أمَّه بعد وفاةِ أبيه بمرض السُّل ، بعد حصوله على شهادة المدرسة الصناعية قسم لحام الأكسجين ، طار إلى أمه يقفز أمامها ..

ـ (حا اعمل عربيات .. وألحم الحديد بالحديد)

ضحكت أمه .. أخذته فى حُضنها .. قبّلتْ رأسَه قائلةً:

ـ (ابقى اعمل لى عربية أروح بيها للحكيم ..؟!)

حاول الالتحاق بمصنع الحديد والصلب فى مدينتهم الكبيرة .. رفضوا لأنه لم ينتهِ من الخدمة فى القوات المسلحة .. ذهب إلى قسم الشرطة وقدم أوراقه ليتم تجنيده ، نظر إليه (الصول) الجالس إلى مكتبه :

ـ عندك كم سنة ؟

ـ (تسعتاشر) .

ـ (ومالك طويل ونحيف ورهيف كده ؟ ! اللى يشوفك يقول عندك خمستاشر . سيب أوراقك هنا لما نعوزك حانطلبك) .

تمرُّ الشهورُ ثم يأتى شيخُ الحارة يطرق بابهم عصرًا ..

مطلوب للتجنيد ، طار فرحـًا إلى هناك .

- مكانك فى السويس .. على الطريق السريع .. حراسة الطرق ..

ـ بس ده تبع الداخلية !

ـ لأ .. دلوقت تبع القوات المسلحة .. أنت حا تعترض يا مجند والا إيه ؟ !

ـ لأ يا باشا .. تحت أمرك .

أدَّى التحية وانصرفَ .. يعود فى إجازاته ، حاملاً بعض الحلوى يسلم معظم راتبه لأمه .. ولا يحتفظ إلا بالفتات ، اشترى كلَّ الأدوات الخاصة بلحام الأكسجين .. صنعُ أولَ سيارةٍ صغيرةٍ .. كتب اسمه عليها .. وطلاها باللون الأحمر .. مازالت أحلامُه تداعبُ شبابه .. تشفق عليه أمه من البرد أثناء حراسة الطريق

الطويل العريض شديد الظلام .. تمنحه بطانية إضافية

- لفّها حواليك فى نوبتجيات السهر .. دفّى جسمك

فى ليل الشتاء الطويل .. يكاد يتجمد من البرد .. تتقلص أطرافه .. تتيبس أصابعه على بندقيته بصعوبة .. الجسد النحيل يلتف فى بطانية أمه .. يستند على الجدار .. لم يفلح كوب الشاى الأسود الساخن فى تدفئته .. تسلل النوم إلى سمعه وبصره نامَ واقفًا .. قابضًا بكفه اليمنى على البندقية ..

فى قلب السكون تأتى سيارة "كبيرة" (لورى) ، سائقها تجرع عشراتِ الكئوس وابتلع البرشام الصليبة ، يقود بسرعة مجنونة .. يصطدم بالجدار الذى استند عليه وحيد .. يهدم الجدار ويأخذ وحيدًا معه .. تذكر بعد عدة أمتار أنه نسى حافظة نقودِه على فراش زكية صاحبة

كافيتيريا الطريق .. عاد مسرعًا .. اختلطت عليه الاتجاهات .. اصطدم ببقايا الطريق ، وبقايا وحيد ملفوفًا فى بطانية أمه .. حين تسلمت بقاياه .. لم يستطع أى طبيب أن يلحم الأجزاء الممزقة مع ببعضها البعض كما كان وحيد يلحم قطع الحديد ويصنع منها سياراته الصغيرة .

مازالت أول سيارة صغيرة حمراء قابعة فى دولابه الصغير تنتظره !!

"إهداء إلى أكبر حفيداتى .. إسراء .."

وجهٌ فى السحاب

أتـى الشـتاءُ .. تزاحمتْ سـحاباتٌ كثيفـةٌ أمـامَ نافـذتى .. الأولـى تشـبه الجبـل ، والثانيـة كوجـه طفـلٍ يبتسـم ، والثالثـة كرجـلٍ وامـرأةٍ يتشـاجران ، الرابعـة كزهـرةٍ تتفتح ، أما الخامسة فلمحتُ فيها وجهـًا متجعدًا .. كثيف الحاجبين ، أشعث الشعر ، كبير الأنف ، غليظ الشفتين ، ناديتُ :

ـ يا .. أنت .. يا هذا .

انتبه إلىَّ .. تلفتَّ متسائلاً :

ـ أنا .. أتنادينني ؟!

ـ نعم .. لماذا أنت .. فى هذه السحابة .. ؟ ولماذا أنت عابسٌ هكذا .. ؟ !

ـ أتفرجُ على أهل الأرض .. منذ بدء الخليقة وهم يتصارعون .. أما لهذه الصراعات من نهاية ؟؟!

ـ أنت معلقٌ بين السماءِ والأرض .. على هذه السحابة .. ألا تعجبك السماءُ ؟!

ـ بلى .. تعجبنى .. لكنىأتمنى أن أستقر.. أنا لا أعرف أين مكانى الأخير .

ـ ولماذا عُلقتَ هكذا ؟ فلا أنت عندنا ولا أنت عندهم!!!

ـ حسناتى وسيئاتى متساويتان .. متوازيتان .. إحتارت الملائكة فى أمرى !.. أيذهبون بى إلى الجنة .. أم يقذفون بى فى النار ؟؟؟

ـ وماذا حدث ؟

ـ تزوجتُ بأربع نساء .. أحببتُ أهديتُ ، أعطيتُ ، عدلتُ بينهن جميعهن ، وأجزلتُ العطاء .

ـ ثم ماذا ؟ هذه كلها حسنات !!

ـ مرضتُ بمرضٍ عضال ، استولتْ كلُّ واحدةٍ منهن على جزءٍ كبير من متاعى ، وثرواتى ، تمردن علىَّ .. أتفقنَ .. وألقيْنَ بى إلى الطريق ..

ـ والأولاد ؟!

ـ أخذنهم ورحلن جميعـًا .. وفى الطريق .. عشتُ مع المساكين ، جُرت عليهم فجارت علىَّ الدنيا ..!

ـ لماذا ألا يُعدُّ هذا ابتلاءً ؟!

ـ وأىُّ ابتلاءٍ .. خسرت بالحب ، وخسروا بالكراهية .. جلستُ فى الطريق أتسولُ .. أنامُ على الجوع وأصحو على المرض ...!

ـ وكيف رحلتَ ؟

ـ فى ذات يومٍ .. أشفقتْ علىَّ طفلةٌ صغيرةٌ .. أخذتْ بيدى لأعبرَ الطريق .. ضاق بى أهل الرصيف فطردونى .. دهستنا سيارة ، ذهبوا بالطفلة مباشرةً إلى الجنة .. أما أنا .. فأشفقَتْ علىَّ سحابةٌ عابرةٌ فحملتنى .. وما زلتُ معلقـًا بين السماء والأرض ..

ـ أنتَ مسكين ؟!

ـ لا أظن .. كنتُ أغش فى التجارة ، أتلاعب بالأسعار، أحارب الناس فى أرزاقهم وأقواتهم وأحتكر البضائع وأزورُ فى الأوراق الرسمية ، وأتهرّبُ من الضرائب...

ـ عشتَ على دماء البشر .. ؟!

ـ ظننتُ أنى معمرٌ فى الأرض ..

ـ ما ضيعك إلا طولُ الأمل .

ـ وقِصَرُ الأجل .. !

ـ فى الماضى عاش الناس ألف سنة ..

ـ إلا خمسين ..

ـ فى عمر الزمان .. لحظة

ـ أحسِنْ الظنَّ بالله

ترتسم الحيرةُ على وجهه .. يحاول الابتسام ..

ـ أنا لا أطلب إلا الرحمة .. أرجوكِ .. الدعاء ..

ـ سأفعل إن شاء الله ..

أرى البرق يشق السماء يتبعه الرعد ثائرًا .. هادرًا .. زلزل الأرض ، ينهمر المطر .. غزيرًا .. قويـًا .. تتصارع السحابات رمادية هى السماء .. أنظر حولى أرفع عينى إلى أعلى .. اختفى وجه الرجل .

حبـات .. تراب

(1)

عُدتُ من غربتى بعد سنواتٍ طويلةٍ .. تعجلتُ الوصولَ إلـى قريتـى .. ركبـتُ الحافلـة لأمتـعَ نظـرى بـالحقول الخضـراءِ الممتـدةِ يمينـًا ويسـارًا .. أىُّ لوعـةٍ يئن بهـا الفـؤاد فـى الغربـة ، وأىُّ شـوقٍ يعصـف بالوجـدان والروح وأنتَ بعيدٌ عن أحبائك ، وجذورك فى الأرض عميقة .. متشعبة .. ثابتة .. راسخة إلى الأبد ..؟!

انكسرتْ فرحتى حين رأيتُ الحقولَ وقد أصبحتْ رُقَعـًا صـغيرةً جدًا فـى ثـوبِ الأرض القـديم .. زحفتْ عليهـا عُلبٌ أسمنتية ضخمة .. تمنيتُ أن تنسى عيونى

اللـون الأصـفر.. الصـحـراء الجـرداء التـى مكثـتُ فيهـا سـنوات ٍ وسـنواتٍ .. جفَّـــتْ فيهـا مشـاعرى وأكلتنـى المسافاتُ والغربة حتى حفرت فـى نفسـى قبـرًا .. إذا لـم أعُد .. سأدفن هناك !!

(2)

وصـلتُ مـع غـروب الشـمس .. لـم يعرفنـى مَن بالـدار .. الشعرُ الأبيض الذى تـوَّج رأسـى ، والخطـوط المتعرجـة فى وجهى ترسمُ خريطةَ عمرى وأحزانـى .. تركـتُ كل شيئ .. هرولـتُ إلـى حقلنـا القريـب .. تـنكرتُ الجميـزة الكبيـرة التـى تربيت فـى حضـن جذعها بعد وفـاةِ أمـى صغيرًا .. بحثتُ عنها فى كل المكان .. انقرضتْ

الأشـجار ، اللـون الأخضـر بهـتَ وتنـاثر وتبعثـر كمـا تبعثرتْ الأوراق والأغصـان .. جفتْ الأرض .

(3)

انحنيـتُ علـى الأرض أحـدثها .. ألصـق وجهـى بطينـة أرضى .. قبضـتُ بكفـى علـى حفنـةٍ مـن الأديم ..قرّبتـها من أنفى .. أشم رائحة أبى فيها .. أتحسسـها بأصـابعى ، حدثتنى حباتُ التراب :

ـ أنا أحبك .. فأحببنى أنت أيضـًا .. ولا تبتعد ..

قرّبتها من شفتى .. أقبلها .. وضـعتها بجوار قلبى .. بل فـى داخلـه .. تنصـهرُ ، تـذوبُ داخل عروقـى .. تخـتلط بدمائى وخلايا جسدى .

(4)

داهمنى الليل .. أطل علينا القمر .. حزن لحزنى على أرضى .. توارى خلف سحاباتٍ عابرةٍ يدارى أدمعه ، يدورُ الكروانُ حولى ، ينادينى .. يواسينى .. كنا معًا من قبل ، وها قد عدنا .. أسمعُ حديث الأغصان .. الأوراق المتبقية .. الجذور التى مازالت تقاومُ الجفافَ والشقاء .. شربت عرَقَ الأجداد وربَت تحت السواعد القوية بلهيب الشمس ، لا يهمها الانصهار ، والذوبان والامتزاج بحبات التراب ، حملت فأسى .. رفعته عالياً.. هويت به أضرب أول ضربة فى الأرض ، استيقظت حبات التراب تناثرت تسائلنى .. أين كنت ؟!.

البَشَرُ يموتونَ

ألقيتُ بجسدى على مقعد الطائرة ، أحكمت الحزام ، نظرتُ من النافذة ، تلفتُّ حولى .. الجميع يأخذون أماكنهم .. الوجوه مُرهقة .. حزينة .. مفارقة الأهل والأحباب تشعرك بأنك تركت قلبك هناك .. على أرض الوطن !!

المضيفاتُ تتحركنَ فى الطرقات الضيقة للطائرة .. ثم يثبت الجميع فى مكانه ، تُطفأ الأنوار ونستعد للإقلاع، ترتفع الطائرة .. رويدًا رويدًا ... أشعر بآلام شديدة فى أذنىَّ .. أخرج قطعةً من اللبان من حقيبة يدى .. ألوكها فى توتر .. لاأشعر بمثل هذه الآلام إذا سافرتُ فى شهر رمضان مع أنى أكون صائمة !!

ترتفع الطائرة أكثر وأكثر .. تسألنى المضيفة :

ـ أىَّ جريدةٍ تريدين ؟

أجيبُها بالنفى .. لا أحب قراءة الجرائد فى الطائرة .. أستغرق فى تأملات طويلة ، نظرتُ من النافذة .. أصبحنا وسط السحاب ، من يُسَيِّرُ هذه الطائرة ؟! .. آلكابتن قائد الطائرة ؟!.. الريح ؟!.. الآلات ؟! ...

تذكرتُ الطائرة التى هوتْ فى المحيط .. كيف ذهب ضحاياها دون تفسير لسقوطها .. تدافعتْ خفقاتُ قلبى تسابق بعضَها البعض ، هل ضُربتْ هذه الطائرة بالصواريخ ..؟!كيف تصعد وتهبط ثم تصعد وتنفجر إلى شظايا صغيرة ؟ وهل يقول الكابتن توكلنا على الله وهو ينوى الانتحار ؟!! صعدتْ الطائرة إلى ارتفاع شاهق ، فأصبحنا فوق السحاب ، الأبخرة البيضاء تحيط بنا ..شعرتُ أنى قريبة جدًا من الله ..

شاهدتُ زوجى يشير إلىَّ.. يفتح فمَه .. يناديني لكنى لا أسمعُ أىَّ صوتٍ كان زوجى مولعـًا بالسرعة انقلبت به السياره عدة مرات قبل أن يلفظَ أنفاسَه .. ربيتُ أولادى الأربعة وحدى .. كنتُ جميلةً .. رشيقةً .. مثقفةً تتقدمنى أعوامى الأربعة والثلاثون ، يتهافتُ على خطبتى أقاربى وزملائى .. لكنى أرفضُ وأعيشُ أبـًا وأمًا لأولادى ،لم أحب أن يحتل مكان زوجى أى رجل آخر،كثيرا ما كنت أصاب بالأرق بعد أن ينام أولادى أشعر بالوحشة والوحدة .. أحتاجُ لقلبٍ يحتوينى ، أبكى كثيرًا فى الليل؛ أعمل طوال اليوم وأرعى أولادى حتى انتهوا من دراستهم وعملوا وتزوجوا .. كَبُرتْ وحدتى واتسعتْ أخفيها فى داخلى فإذا حضر أولادى وأحفادى ابتسمتُ !!

اعتلَّ قلبى وأجمَع الأطباء على ضرورةِ تغيير عدة شرايين ..

ماتت أمى بسبب علةٍ فى القلب ، لم تساعدها وقتها أية وسيلة للعلاج ولو بعملية جراحية .. تذكرت الإستنساخ هل إذا رحلتُ عن الدنيا سيطلب أولادى استنساخى مرة أخرى ؟ صحيح أننى كنتُ الأم الحنونة التى نسيتْ أنوثتها وحياتها وتفرغتْ لعملِها وأولادِها .. ولكن هل تُعادُ دورةُ الحياةِ مرتين ؟!

ارتجَّت الطائرةُ .. أطفئتْ جميعُ الأنوار وطلبَ قائد الطائرة فى الميكروفون إغلاق جميع الأحزمة والتزام المقاعد .. حبس الجميعُ أنفاسهم .. فربما نحن فى مطب هوائى .. تذكرتُ أطفال العراق وكيف يموتون جوعًا وقتلاً ..وكيف هى المياه ملوثه والطعام قليل والموت فى كل مكان ..هل ألقيت قنابل ذرية صغيرة تحملها

رؤوس الصواريخ على أهل العراق؟. هل تُوقع العقوبات على كل دوله تقول لا؟ ونحن الى متى سنظل صامتين؟!

إندفعتْ أمامى صورةُ الصرب وهم يَقتلون النساء والأطفال ويمثّلون بجثث القتلى وبلعبون الكرة برؤوس الشباب المُغتالين !

القتلُ فى كل مكان .. المجاعات والحروب .. الدولة الكبيرة التى تسيطر على العالم .. سأذهب إليها ليعالجونى بتغيير شرايين القلب .. فهل يتغير قلبى بعد تغيير الشرايين ؟ وهل أرى العالم ورديًا جميلاً بعد ذلك؟ وإذا احتجتُ لزراعة قلب .. فأىُّ قلبٍ يوضع مكان قلبى ؟ وكيف تكون حياتى ؟ وماذا تكون الحياة والبشر يموتون؟! انسابت دمعة من عينى .. رأيتُ أولادى يقبّلوننى .. لحظات الوداع صعبة حتى لوكانت قصيرة

لم يتمكن أى أحد منهم من مصاحبتى فى هذا السفر ، الجميع مشغولون ، لم يعُد هناك وقتٌ .. إلا للوداع !!

أقبلت المضيفة تسألنى :

ـ أترغبين فى الدجاج أم اللحم ؟!

أخرجتنى من أفكارى ..نظرت اليها ساهمه...

ـ أىَّ شيئ .

انصرفتْ المضيفة لتسأل باقى الركاب .. ابتسم جانب فمى الأيمن وامتعض جانب فمى الأيسر .. ما الفرقُ بين اللحم والدجاج ؟! يصنعون اللحم والدجاج فى القوارير ..كل شيئ أصبح صناعيًا .. يصنّعون البكتريا والفيروسات فى المعامل والمختبرات بالتلاعب فى الجينات ..ثم يصنّعون الأمصال والأدويه ..كل شئ أصبح فى متناول أيديهم ..!

وضعتْ المضيفة أمامى صينية الطعام الساخن .. تذكرتُ الجوعى فى كل مكان فى العالم .. الطعام الذى ُتلقيه الدول الغنية فى المحيط حتى لا ينخفض ثمنه .. أخذتُ أمضغ لقيماتى فى هدوءٍ .. بلا شهيةٍ .. لم أعد أشعرُ بأيةِ رغبةٍ فى أى شيئ ! أسمع صوت أبى وهو على فراش الموت يوصينى بإخوتى ..

ماتت أمى قبله بسبعة أشهر .. يبكيها حزنًا وألمًا .. لم يتحمل الحياة بعدها .. ثلاثون عامًا عاشاها معًا فى حبٍ ورحمةٍ وتفاهم ، يشاهد الناس القتلى على شاشات التلفاز .. وهم يتناولون الطعام والحلوى !!

تحملتُ مسئولية أخى وأختى بعد وفاةِ أبى .. تزوجتُ بشرطٍ واحدٍ أن نعيشَ أنا وزوجى معهما لأرعى شئونهما وضعتُ أولادى كلهم بعمليات قيْصرية ..

يرتفع ضغطى أثناء الحمل .. أعود لرعاية الجميع .. بعد الإفاقة والخروج من المستشفى . أحسستُ بوخزةٍ فى القلب .. ماذا لو متُّ الآن ؟!! لا عملية جراحية ولا أى شيئ ، هل تعود بى الطائرة لأدفن فى بلدى .. فى قبر أمى .. ؟!

ماتت أمى بجلطة فى القلب ، حاولتُ أن أنام .. يأبى النوم أن يقذفنى فى كهفه العميق .. تهتزُّ الطائرةُ ..

ساعاتُ السفر طويلة .. بعضُ المسافرين يقرأ .. الآخرون يغطُّون فى نومٍ عميق ، امرأة تتصفح جريدة.. يرتفع صوت بكاء طفل صغير .. تلفتُّ خلفى .. أمه تخرج ثديها لترضعه يتلقف الحلمة بفمه الصغير .. الحليب الدافئ الذى يأتى من بين فَرْثٍ ودم ..سبحان الله .. كلُّ حليب الأمهات واحد .. متشابه لا اختلافَ بين الأم الآسيوية أو الأوربية أو الأفريقية ، لا اختلافَ بين

حليب امرأةٍ بيضاء أو سوداء أو صفراء .. غذاءٌ واحدٌ.. لكل أطفال العالم .. ينام الطفل على صدر أمه ..

يشعر بدفء جسدها .. دقات قلبها تمنحه الحب والحنان.

لا اختلاف بين جميع أثداء نساء الأرض .

آه ياقلبى المتعب .. أذينين وبطينين وشرايين تحيط القلب : إنها تاج يتوجه ويغذيه ، لا تفرقة عنصرية بين قلوب البشر .

أنظر من نافذة الطائرة .. ظلامٌ شديدٌ يحيطُ بنا .. آلام قلبى تلاحقنى .. الجميع أشاروا علىَّ بأن أتزوج بعد أن أديتُ رسالتى على أكمل وجه .. أوصلتُ أولادى إلى بر الأمان .. المنزل السيارة ، الوظيفة المحترمة ، الزوجة.. الأولاد .. الثلاجة ، التلفزيون .. الغسالة .. الشاليه فى الساحل الشمالى .. كيف يكون هذا بر الأمان

والبشر يُقتلون فى كل مكان ؟ هأنذى فى مركبة حديدية بين السماء والأرض .. بقلب عليل وتاريخٌ طويلٌ فى الشقاء والمسئولية .. بعد نصف ساعة نصل إلى المطار الآخر ، ينتظرنى أحد أقارب زوجى الذى هاجر منذ ثلاثين عامًا ليصطحبنى إلى المستشفى الذى سأجرى فيه العملية .. سيُخرجون قلبى من قفصه الصدرى ، سينتزعون الشرايين التالفة ويضعون مكانها شرايين أخرى .. هل ستعمل بنفس الكفاءه؟هل ستؤدى مهمتها مثل الشرايين الأصليه التى خلقها الله؟؟

لا أرغبُ فى إجراء هذه العملية " ..

قلتها بصوتٍ عالٍ وبإصرار !! انتبه الرجل الذى يجلس على المقعد المجاور لى .. نظر إلىَّ متعجبًا ، كررتُ العبارة فى داخلى مرات ومرات .. لا أرغب فى إجراء هذه العملية .. هل سينهدمُ العالم من أجل امرأة

عليلة القلب ؟!! ماتت راضية مرضية وعادت إلى ربها .. بهدوء وبغير قتال ؟!

فى الحرب العالمية الثانية قُتلَ خمسين مليونـًا من البشر بدون أى ذنبٍ .. أرواحٌ تُزهق .. أجسادٌ تُمزق.. أطفالٌ يتامى .. زوجاتٌ أرامل وأمهاتٌ ثكالى .. ماذا يكسب الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟!!

أصبحت الأرض تشرب دماءَ البشر ، تتحلل عظامُنا وتعود ترابًا كما خـُلقنا من قبلُ من طينٍ من حمأٍ مسنون، خلق الله الدنيا من أجلنا لكننا نأبى إلا أن نلوّث العالم بجرائمنا ومطامعنا !!

أنتبهُ على إطفاء أنوار الطائرة وصوت المضيفة عبر الميكروفون يعلننا عن الوصول ، تحطُّ الطائرة على أرض المطار .. يهرع الجميع لمغادرةِ مقاعدهم ..

يتوجهون نحو باب الطائرة .. أتشبث بمقعدى . لا أريد أن أذهب إلى هناك .. تذكرتُ آلاف الدولارات التى دفعناها أنا وأولادى من أجل هذه العملية .. تلمحنى المضيفة تأتى لمساعدتى على ترك مقعدى والهبوط إلى أسفل .. تنهى إجراءات الجمرك والجوازات .. ألمحُ قريب زوجى وزوجته يقتربان منى . أصافحهما ..

أهمسُ لقريب زوجى بأنى أريد أن أعود .. ينظر إلى زوجته ، تبتسمُ فى رقةٍ .. تحاول إقناعى بضرورة إجراء العملية .. تظننى خائفة .. تحاول طمأنتى ..

ـ المستشفى فى انتظارك .. آلافٌ أجروا العملية وعادوا سالمين !!

أهزُّ رأسى فى عصبية ... أرجوكما .. سأرحل على نفس الطائرة التى أتيتُ عليها .. أرجو أن تبتاع لى تذكرة عودة فورًا .. لن تمد العملية فى عمرى

لحظـة واحـدة !! أخـذتْ الزوجـة تـذكرنى بـآلام القلـب ومتاعــب التنفس ؛ وتؤكد لـى أنـى سـأعود سالمه ..لا أتراجع ولا أقتنـع ..أطلـب باصـرار العوده علـى نفس الطائرة.

يستسلمان لقرارى .. يسارع قريب زوجى بإنهاءِ كــل الإجراءاتِ وأنا أنتظرُه على مقعدى فى المطار .. تعـود حقائبى للطائرة .. أجلسُ على نفس المقعد الذى جلستُ عليه من قبلُ .. أنظر من النافذة .. أرضـية المطـار تلمـع فى وهج الشمس .. أتذكرُ شمسَ بلدى .. نيلها .. سماءَها ضحكاتِ الأولادِ .. فرحَ الأحفادِ .. أجلسُ مرتاحةَ النفس والروح ولا أشعر بأيِّ آلامِ فى قلبى .

صندوق أخضر

(١)

مد يده برفق بين طيات ملابسه، أخرج صندوقاً صغيراً أخضر اللون، أمسك بالمفتاح .. فتح الصندوق، بدأ يخرج الأوراق القديمة ؛ يتفحصها ورقة ورقة .. حجة المنزل، فواتير الكهرباء والمياه والتليفون، عقد زواجه، شهادات ميلاد أولاده، شهادة وفاة زوجته، شهادة وفاة الأخ الكبير، ورقة بيضاء مُسطّرة مطوية بعناية ... فتحها .. الورقة خالية من أى كلمات .. فقط ختم أخيه الكبير مطبوعاً فى الجهة اليسرى من أسفل الورقة .. وجه أخيه يملأ الورقة مبتسماً ..!

(٢)

لم تعترض روجته حين دخلت البيت للمرة الأولى.. لم

تشتكى من سكن الأخ الأكبر مع زوجها ، ومعهم جميعاً فى غرفة صغيرة خصصوها له بجانب الحمام الصغير.،يخرج اليها صباحا ويعود مساءً..بلا ضجيج؛ لا أحد يشعر به حتى فى يوم أجازته لا يبرح الغرفة .. قد يدخل أولاد أخيه إليه يجالسونه بعض الوقت .. يداعبهم .. يمنحهم بعضاً من النقود أو الحلوى التى إشتراها لهم فى المساء السابق .

حين أقعده المرض أحتاج لمن يخدمه .. بدأت الزوجة فى الإعتراض والشجب والإحتجاج ؟! يأتى الأخوة الآخرون لزيارة المريض فتحتجب فى غرفتها وترفض إستقبالهم، تمتنع عن زوجها، تذهب لزيارة أهلها وتعود متأخرة، ترسم النكد والهم والغم على وجهها .. تضغط وتضغط حتى تدفع زوجها ليجبر أخاه الأكبر على كتابة كل ما يملك له ولأولاده من بعده .. الأرض، الدكان،

نصيبه من المنزل .. كل شئ .. ألسنا نخدمه ونطعمه ونعالجه ؟ ألا يأتى الطبيب عدة مرات فى الأسبوع الواحد يضع له القسطرة ؟؟ ألا أعطيه الدواء بيدى ؟؟ ألا تسهرأنت بجانبه طوال الليل ؟؟ .. تعاود الضغط من حين لآخر والزوج صامت لا يتكلم ....!!

(٣)

بعد العشاء .. وضعت له ختماً وختَّامة ، قلماً وورقة بيضاء مسطَّرة .. رفع رأسه متسائلاً .. أمسَكَت بالقلم، وضعته فى يده اليمنى ..

- أكتب كل ما تريد فى أعلى الورقة .. ثم ضع الختم فى يده واختم به فى أسفلها، هو تائه لا يعى ما يحدث حوله .. حين يعترض الآخرون، اظهر الورقة، كل ما يملكه من حقنا نحن فقط ..؟!

ابتسم ملاطفاً لها .. أمسك بالختم .. طبعه فى الجهة اليسرى أسفل الورقة .. بعد العشاء .. إنتهى من كل شىء ..!!

(٤)

انتهى من طعامه .. دخل إلى غرفته مازال الصندوق مفتوحاً أمامه .. وضع القلم والختم والختامة داخل الصندوق .. دخل إلى غرفة أخيه .. ألقى نظرة حانية عليه .. انحنى يقبله .. عاد إلى الصندوق .. طوى الورقة البيضاء المسطرة بعناية حتى صارت صغيرة جداً، ألقاها داخل الصندوق .. أغلقه بالمتاح .. عاد يضعه بين طيات ملابسه .. أغلق الدولاب، التفت فإذا بأخيه واقف خلفه يبتسم ..!!

قُبْلة الصباح

وقفت تصرخ .. تهدد .. لابد أن أخرج .. أنت تقتلنى أختنق .. أرتعد .. لا أريد العيش معك .. طلقنى أو أخلعك !!

جثا على ركبتيه .. متوسلاً .. دامعاً .. متهدج الصوت هامساً :-

- حبيبتى لا تهجرينى .. ارحمى قلباً بين الضلوع يهتف بإسمك .. يا زهرتى .. إن ثرت يوماً فسامحينى .. أغار عليك من لؤلؤ الصباح .. من شمس الضحى .. من ضوء الفجر إذا صحا .. أغار .. أغار..

دفعته بكلتا يديها فسقط .. تعاود الصياح فى ثورة عنيفة:-

ـ أنت سجني وسجاني، أنت قيدي وجلادي .. وغيرتك تقتل عفتي .. الشك يحطم مني الأمان، يهين حبي وكرامتي .. لا أريد حباً يعيش بالظنون .. تأكد إنه سيموت بالريبة .. رأيت في حبك أماناً ورحمة، أحسست في مشاعرك إنطلاقة روحي .. فحطمت بظنك سماء محبتي، أنانيتك في تملكي .. تقتل فرحتي.. أين أنا؟ أين نفسي؟ ضاعت مني حريتي .. دعني اخرج ..!

يقف ملتاعاً .. خائفاً يقترب منها .. يحتضنها بكل قوته يضع رأسها في صدره، تقاوم، تصارع .. يضغط على رقبتها بكفيه .. يرتخي جسدها .. تسقط أرضاً .. يُقرّبُ شفتيه من شفتيها .. يقبلها .. قبلة الصباح ....!!!

نجمة واحدة

وحدى .. أنا والليل .. قصصت عليه كل أحزانى وآلامى .. فإذا بالليل يبكى ! يذرف أنجمه عبرات براقة ما أن تنطلق حتى تتحول إلى كتل رمادية جوفاء .. تتسارع وتهبط على الأرض .. تسقط مهشمة إلى أجزاء صغيرة .. حزناً ويأساً وحسرة .. الليل ما عاد يملك إلا نجمة واحدةً .. يتردد .. حائراً .. صامتاً يفكر بلا ضجيج.. أيلقى بهذه النجمة أيضاً ؟! أيذرفها دمعة كما ذرفت النجمات الأخريات .. أيصبح العالم كله بلا نجوم وضياء ؟! .. أتوسل إليه ألا يبكى .. دعها يا ليل تحيا .. حتى لو كانت نجمة واحدة قادرة على إضاءة هذا الكون المظلم .. ربما رأينا بصيصاً من النور يحتاج إليه عابر سبيل فى صحراء الألم والضياع ؟! أو أم ثكلى تبكى

وحيدها.. أو عجوز يجتر ذكريات العمر الهارب، المنسحب من بين يديه، فى ضوء نجمتك الوحيدة .. مابالك يا ليل .. أتفكر ؟!

تمر علينا نسمة وحيدة .. ضعيفة .. أضناها طول الرحيل من قلب إلى قلب، تسمع آهة الليل الحزينة .. مازال يبكى .. ُيلقى الليل فى يأس وأسى بنجمته الوحيدة الباقية .. يهتز الكون .. تسقط النجمة فى بحر الزمان فلا تعود إلا كتلة رمادية فارغة مشوهة الحدود والأقطار، يختفى البريق، تصمت الأنفاس، هدوء سرمدى يسود .

شهيد

حين انتزعونى من أحضان أمى .. ألقوا بى هناك ..
قالوا لى :

ـ ابحث عن الحقيقة ..!!

وجدتها .. حاولت أن أعرفهم بها .. وضعوا أيديهم على آذانهم .. وأغمضوا أعينهم .. لا يريدون السمع والرؤية.. أحببت أن أدافع عنها ..أحميها ..أفديها بروحى ونفسي ،ألقوا بى على الرمال الساخنه، أفرغوا من جسدى كل دمائى .. احترقت الرمال بصرخاتى .. وشربت دمى المنفجر براكين حمراء .. فى نفس المكان .. نبتت زهرة حمراء..

أوراقها من لحمى، أغصانهاعظامى، أشواكها أظافرى،

حاولوا انتزاع الزهره.. تَمسّكتْ بالأرض .. غَرَسَتْ أشواكها فى أجسادهم .. فألقتهم هناك .. حطاماً ورماداً !

تأشيرة خروج

(1)

عادتْ فاطمةُ من رحلةٍ شاقة فى هذا اليوم .. أصعبِ أيام حياتِها ، تصحبُها أمُّها الضريرة وبعضُ الجيران الطيبين؛ دَفنتْ زوجَها ووالد أولادِها ، هذا الرجل الطيب الحنون الذي تشعبتْ بصدره شعيراتُ القطن وذراتُ الغبار المتناهية فى الصغر بسبب عمله بمحلج القطن ، خمس سنوات يعانى السُّعال والهُزال ، يُحتجز فى مستشفى الصدر يحمل معها همومَ أولاده الخمسة ينظرُ إليها فى وهنٍ، شبابُها المتفجرُ يذبلُ تحتَ وطأةِ الفقر .. حتى بعدَ العمليةِ الجراحيةِ لم يحمله الأملُ فىالشفاءِ على الابتسام..مات متأثرا بهمومه حاملا معه

أعوامه الأربعين .

(2)

جلستْ تـُحصى المكافأةَ الضئيلةَ التى تسلمتها من صاحب العمل ، كم ستكفى لإطعام الأفواه الصغيرة ! كسوتهم ، مدارسهم .. أوصاها بتعليمهم ، " العلمُ حصن يا فاطمة .." لا تتركيهم يتعذبون مثلى .. أولادى أمانة فى رقبتك " .

تبتلعُ دموعَها التى ما عادتْ تـُجدى ، تتسلل إلى غرفة أولادها حيث ينامون مع جدتهم العجوز ، بدت الوجوه شاحبةً ، والأجسادُ بدأتْ فى الهزال .. تتذكر صراخ ابنتها حين حملوا الأب إلى مثواه الأخير .

ـ لا تأخذوا أبى .. ضعونى معه .. لن يحبنى أحدٌ كما أحبنى .. لا أقدر على العيش بدونه ..

ينفطر قلب فاطمة .. ستبحث عن عمل .. أىَّ عمل .. فالقروش القليلة بين يديها توشك على الانتهاء .

(3)

تسمع طرقاتٍ على باب شقتها المتواضعة والتى أصبحتْ على البلاط .. باعتْ كلَّ ما يمكن بيعه لتواصل الحياة .. أدهشتها صديقتها جمالات بأناقتها المفرطة والذهب اللامع فى الأصابع والساعدين .. تزوجتْ من أحد الأثرياء فى الخليج ، كان فى عمر جَدِّها .. سافرتْ معه لكنه لم يحرمها من زيارة أهلها بين الحين والآخر .. علمتْ بمأساةِ فاطمة ؛ فجاءت تواسيها وتعرضُ عليها عرضًا باغتها وأدهشها !!

ـ لماذا لا تتزوجين ...؟! مازلتِ صغيرةً .. وجميلةً ..!!

ـ لا تقولى هذا الكلام .. لن أعوّضَ أبا أولادى أبدًا .. وكيف يتحملنى رَجُلٌ بأمى الضريرة وأولادى الخمسة ؟

ـ إذن تسافرين ..

ـ إلى أين ؟

ـ إلى الخليج ..

ـ ماذا أعملُ فى الخليج .. أأتركُ أولادى ؟!.. أنهم صغار وأمى لا تقدر على رعايتهم ..

ـ يتعاون الأولاد فى خدمة أنفسهم وخدمة جدتهم .. عامان فقط فى الخليج وتعودين بمبلغ معقول .. تبتاعين ماكينة خياطة أو أعملى (كشكاً) صغيرًا أمام المنزل كيف سيعيش الأولاد ؟!

ـ وماذا سأعمل فى الخليج ؟

ـ عمٌ زوجى رجلٌ كبيرٌ .. شيخٌ طاعنٌ فى السن لا يقدر

علـى الحركـةِ .. يحتـاجُ لمـن يخدمـه ، والخادمـات الآسياويات لا يستريح معهن .. هو يريدُ من تتحدث العربية .

ـ خادمة يعنى ؟!

ـ إذا عشتِ هنا بمثل ما تعيشين فستضطرين للعمل خادمة أيضًا فما الفرق ؟

ـ الغربة ..

ـ مدة قصيرة .. فكرى فى أولادك وأمك ..!!

(4)

سهرتْ فاطمة ليلتها .. تحاورُ الأفكارَ وتحاورُها .. البيت المستهلك الذى تعيش فيه قد يسقطُ فى أىِّ وقتٍ .. تسللتْ عدة مراتٍ إلى الحىِّ المقابل لحيهم تخطتْ

السورَ الفاصل بين أهل الوجاهةِ والثراء .. وأهل الفقر والضياع ، تنظفُ شقق الهوانم الموظفات الكسولات اللاتى تخاف كلٌّ منهن على أظافرها من غبار النوافذ وعلى جلدها من الصابون السائل والكلور .. لم تسترح لنظراتِ زوج الهانم ولا ملاحقته لها بطلبات الشاى والقهوة ولا دخوله فجأة الحمام وهى فى انحناء تنظف البانيو ؟ حسبت مرتبها فى الخليج ، وما تتناوله فى حياءٍ من يد الهانم التى تشترط عليها أنِ تأتيها مرة كل أسبوع .. !! تذكرتْ مصروفاتِ السفر ، تذكرة الطائرة طائرة وكيف تجلسُ فى مقعدِها بين السماءِ والأرض ؟ الحافلةُ أفضل - وجوازُ السفر والتأشيرة .. ؟! من أين لها بكل هذا ؟ .. تأتى جمالات .. فتضع فى يدها كل ما تريد ..

ـ هذه سلفة سدديها بعدَ الرجوع ، إنشاء الله .. احنا

اخوات يا فاطمة ..

(5)

احتوتْ فاطمةُ أولادَها فى أحضانِها ، وفى قلبها .. لم يصدق الأولادُ أن أمَّهم ستسافر ، عجزتْ رؤوسهم الصغيرة عن تخيل حالهم بدون أمهم .. أتقنتْ الابنة الكبرى أعمال الطهى .. قسَّمتْ أعمال البيت عليهم جميعًا بما فى ذلك رعاية جدتهم الضريرة التى تكوَّمتْ على نفسها وحيدةً فى حجرتها تبكى فى صمتٍ بعد أن جفَّتْ من عينها الدموع .. لم يفهم طفلها الصغير كيف تتركهم أمهم .. وعدته بإحضار كمبيوتر له وملابس جديدة وثلاجة كبيرة ..

ـ ألا تحب أن تشربَ الماء البارد فى الصيف .. ؟

ـ نعم وآكل البطيخ مثلجـًا !!

تنهض فاطمة .. بباب غرفة أمها تقف صامتةً تهوى بين يدىْ أمها باكيةً، منتحبةً..

ـ رغمـًا عنى يا أمى .. كم أشتهى أن نعيش حياةً كريمة .. أن أرى أولادى سعداء ..

ـ اشتغلى هنا يا فاطمة .. فى بلادِنا ناسٌ طيبون .. نساعدُ بعضَنا البعض ..

ـ فات وقتُ الكلام .. السفر باكر يا أمى .. !!

لم ينم الأولاد ليلتهم .. تعلقتْ أعينهم بوجه الأم التى تحاول إخفاء حزنها ، شيئ ما فى صدرها يئن .. يتوجع يحاولُ التراجعَ .. وشيئ آخرِ يدفعُها للذهاب ، وضعتْ ملابسَها البسيطة فى حقيبة صغيرة .. وتأهبتِ .. .. ..

نام الأولادُ من شدةِ التعب والانتظار .. !!

(6)

اصطحبَها الابنُ الأكبرُ للشيخ المسن رأسًا من المطار إلى البيت .. بل إلى القصر الواسع الكبير الفخم .. أخفتْ ذهولها وانبهارها بفخامة المفروشات والستائر و أوعية الورود والنباتات الصناعية وحوض أسماك الزينة الذى تلقى فيه الخادمة السيريلانكية كل يوم بغذاء السمك .. الحمّام الكبير ، مرآته العريضة ، والماء الساخن والبارد صابون الاستحمام والمعطرات والمكيفات والذهب الكثير الذى ترتديه الابنة الصغرى للشيخ والتى أصبحت صديقتها تأنس بها فى ليالى الشتاء الطويلة ، تحكى لها عن بلادِها .. وأشجانِها وأشواقِها لأولادها وخوفها عليهم؛ تساعدها الفتاة الصغيرة فى الاتصال بأولادِها تليفونيًا للإطمئنان .. ينزلون سراعًا على الدرج للرد على التليفون عند عم محمد البقال ، تتهدجُ

الأصواتُ .. تخنقها العبراتُ .. تواسيها الفتاة الصغيرة..

ـ لا تحزنى .. ستعوضينهم كلَّ شيئ عند عودتك .

(7)

يأنسُ بها الشيخ ، تطعمه بيدها .. تحكى له الحكايات التى سمعتها صغيرةً من جدتها .. تعطيه الدواء ، تصنع له المشروبات الدافئة التى يحبها ، تحمله مع الخادمة الآسيوية إلى الحمام .. تغير ملابسه ، تضعه فى فراشه ، تقف مع الطبيب حين يأتى للزيارة المنزلية يوقظها الشيخ فى الليل فتهرع إليه ملبيةً طلباته ..

يستحى الشيخ من خلع ملابسه واطلاعها على جسده ، يخبر ابنه الأكبر أنه يريد أن يتزوجها .. يعقد قرانه عليها ، فيكفَّ الحرج عنه وعنها .. يوافق ابنه على

مضض فهى زوجة على الورق فقط لرجل نضبت منه الصحة والرغبة .

(8)

يموتُ الشيخ نائمًا بعد عدة أيام يستدعيها ابنه الأكبر .. تدخل إلى مكتبه ، يشكرها على جهدها مع الوالده يمد يده لها بمبلغ أخبرها أنه يساوى خمسة عشر ألف جنيهًا بعملة بلدها .. تقترب من المكتب تمد يدها لاستلام المبلغ تتراجع .. حياءً وخجلاً ..

ـ أنا لا أريد أىَّ شيئ .. يكفى مرتبى الذى كنتُ أحوّله شهريًا لأولادى ..

ـ هذه مكافأتك .

تختنق بالدموع .. تهرول إلى باب المكتب خارجةً ..

عائدةً إلى غرفتها .. أعدتْ حقيبتها الصغيرة استعدادًا للرحيل .

(9)

طرقاتٌ على باب غرفتها .. فىجوف الليل.. بعد نوم الجميع .. تفتحُ .. الفتاة الصغيرة تدلف من الباب الذى تغلقه وراءها بسرعة ..

ـ أتيتُ إليكِ لأنى أحبك مثل أمى .. التى حُرمتُ منها بوفاتها بعد ولادتى ..سيستدعيك أخى الأكبرغدًا .. ولعلمك هو أخى من الأب فقط فأمى كانت شابة مثلك ، سيعرض عليك المكافأة مرة أخرى ..

ـ لقد رفضتُها .. لا أريد أىَّ شيئ .. مرتب هذا الشهر فقط لأعود به..

ـ أرفضيها كما تريدين .. ولكن أنسيتى أنك زوجة أبى؟

ـ لم أتزوج فعليًا ..

ـ لا يهم .. رسميًا أنت زوجته على كتاب الله وسنة رسوله .. لك من الميراث مثل أى زوجة أخرى .. طالبى بنصيبك من الميراث .. ولا تنسى .. أنت زوجة أبى .. !!

عقدت الدهشة لسانها .. أتجرؤ على هذا ؟. وأىُّ ميراث ستناله من هذا الرجل ؟ فى الصباح التالى .. دخلتْ إلى حجرة المكتب ..

ـ ألن تتسلمى المكافأة حتى ننتهى من هذا الموضوع ؟!

ـ سآخذ حقى فى الميراث .

ـ أى ميراث .. هل فقدتِ عقلك ؟! كنتِ تخدمين أبى فقط ..

ـ لكنه عقد قرانه علىَّ .. أنا زوجة .. ولى حق فى ميراثه.

لم يتمكن الابن الأكبر من الرد عليها .. وضع المبلغ المعروض عليها فى حقيبته .. عند الباب أخبرها:

ـ غدًا نذهب إلى المحكمة ؟!

(10)

اطّلعَ القاضى على الأوراق .. أظهرتْ عقدَ الزواج الذى احتفظتْ به من قبلُ .. أمر القاضى بتقديم بياناتٍ مستوفاة عن تركة وثروة الشيخ المتوفى ، فى الجلسة التالية .. تم تقسيم ثروة الشيخ على كل المستحقين ..

كان نصيبُها يساوى أربعين مليونًا من الجنيهات بعملة بلدها .. كادت أن تفقدَ وعيها .. سألت القاضى أن يعيد

علـى مسـامعها الحكم .. نظـر إليهـا الابـن الأكبـر نظـرة طويلـة .. حاقـدة .. حمـل أوراقـه .. وانصـرفَ .. عـادتْ إلـى القصـر بصـحبة السـائق الهنـدى .. طلبـتْ مـن الابـن الأكبـر تسـليمها المبلـغ نقـدًا .. نصـحها أن تحولهـا إلـى شيك نقدى تتسلمه حين العودة .

ـ لـيس لـى حسـاب فـى البنـك .. كنـت اتسـلم مرتبـى .. وأعطيـه للسـائق الهنـدى يحولـه لأولادى . تصـطحب ابنتى أمى إلى البنك وتصرف المبلغ .

ـ إذن حافظى عليه .. أنا لا أحمل لك أية ضغينة .. أبـى كان ثريًا كبيرًا لا يهمنا المبلغ .. المهم الحق .. والحق .. فقط ..

نظـرتْ إليـه نظـرةً خاطفـة فهمهـا جيـدًا .. فـالمبلغ المعروض من قبل .. كان يساوى خمسة عشر ألفـًا من

الجنيهات فقط .. تحاشى النظر إليها .

ـ متى السفر .. ؟

ـ باكر إنشاء الله ..

سآتى إليكِ .. بعد ساعة بتأشيرة الخروج ..

هبطتْ من الطائرة ..لا تحمل فى يدها إلا حقيبةً واحدة تحتضنُها بقوة ، وفى يدها ورقةٌ مطويةٌ مسجلٌ فيها أن المبلغَ الموجودَ فى الحقيبة هو نصيبُها وميراثها من الشيخ الكبير الذى توفى وهى زوجته على كتاب الله وسنة رسوله ، وكلُّ أوراقها صحيحة وموثقة.. حتى تأشيرة الخروج .

الكاتبة فى سطور :

- ❖ نادية محمد أحمد البرعى .
- ❖ من مواليد الإسكندرية .
- ❖ بكالريوس طب وجراحة جامعة الإسكندرية .
- ❖ دبلوم فى الصحة العامة .

صدر لها :

1ـ مرثية الموتى للأحياء " مسرحية " 2009

2ـ الرؤية فى الفراغ " قصص " 2009

3ـ وجه فى السحاب " قصص قصيرة" 2010

تحت الطبع :

نحبكم على نار هادئة " متوالية قصصية"

الفهرس

القصة	الصفحة

صدر من مطبوعات القصة

العنوان	النوع	المؤلف
١ـ أنين المأسورين	قصص	بشرى أبو شرار
٢ـ الدخول فى الكابوس	رواية	الشربينى المهندس
٣ـ عبد اللـه يقرأ طول الليل	رواية	محمد خيرى حلمى
٤ـ القلادة	قصص	بشرى أبو شرار
٥ـ على حافة الحلم	قصص	محمد عطية
٦ـ بركان جبل الجليد	قصص	منى سالم
٧ـ ضجيج الصمت	قصص	آمال الشاذلى
٨ـ جبل النار	قصص	بشرى أبو شرار
٩ـ إلا الليل	قصص	فؤاد الحلو
١٠ـ أبجدية الدم	قصص	تهانى عمرو موسى
١١ـ احترم القاموس	قصص	محمد خيرى حلمى
١٢ـ أعواد ثقاب	رواية	بشرى أبو شرار
١٣ـ وخز الأمانى	قصص	محمد عطية محمود
١٤ـ العائلة	قصص	أبو نصير عثمان
١٥ـ شط الغريب	قصص	منى سالم
١٦ـ اقتلاع	قصص	بشرى أبو شرار
١٧ـ وريقات تجريبية سكندرية	دراسات	الشربينى المهندس
١٨ـ جداول دماء وخيوط الفجر	قصص	سناء أبو شرار
١٩ـ الشمس العمياء	رواية	أحمد محمد السعيد
٢٠ـ عيون	قصص	أبو نصير عثمان
٢١ـ شهب من وادى رام	رواية	بشرى أبو شرار
٢٢ـ تدحرج الصور	قصص	الشربينى المهندس
٢٣ـ المشهرات	رواية	منى سالم
٢٤ـ عين شمس	رواية	محمد خيرى حلمى
٢٥ـ السمندل	رواية	فؤاد الحلو
٢٦ـ لحظة اغتيالى	قصص	آمال الشاذلى
٢٧ـ فراشة الطين	قصص	عبد العاطى فليفل
٢٨ـ مرج الكحل	متوالية قصصية	منير عتيبة

٢٩ـ تشتيت إلى موت	روايات	محمد خيرى حلمى
٣٠ـ من هنا..وهناك	رواية	بشرى أبو شرار
٣١ـ المياه البديلة	رواية	أحمد محمد السعيد
٣٢ـ أنين مدينة	رواية	سناء أبو شرار
٣٣ـ فوق البنفسجي وتحت الأحمر	رواية	خالد السروجى
٣٤ـ رائحة الميرامية	رواية	سناء أبو شرار
٣٥ـ على شواطئ الاثنين	دراسات	أحمد فضل شبلول
٣٦ـ غيوم رمادية مبعثرة	رواية	سناء أبو شرار
٣٧ـ كل ليلة	قصص	سعيد عبد النبى
٣٨ـ رحيق الصبار	رواية	محمد أحمد السعيد
٣٩ـ زهور باسمة	قصص	أبو نصير عثمان
٤٠ـ مرتفعات منخفضات العيون الزجاجية	رواية	محمد خيرى حلمى
٤١ ـ أرواح هائمة	قصص	أبو نصير عثمان
٤٢ ـ زفير قمر	قصص	هبة بركات
٤٣ ـ شهرزاد 2005	قصص	أبو نصير عثمان
٤٤ ـ شارع النبى دانيال	رواية	محمد خيرى حلمى
٤٥ ـ أمواج عاتية	قصص	أبو نصير عثمان
٤٦ ـ روائح الزمن الجميل	قصص	منى عارف
٤٧ ـ كتابات المضطر	رواية	محمد خيرى حلمى
٤٨ ـ الأمواج الضائعة	قصص	سعيد عبد النبى
٤٩ ـ رباعية الوادى	رواية	محمد خيرى حلمى
٥٠ ـ تأبيدة	رواية	محمد خيرى حلمى
٥١ ـ أمثل تتثل على لسان إنسان	رواية	محمد خيرى حلمى
٥٢ ـ كسر الحزن	قصص	منير عتيبة
٥٣ ـ النمل فى بيت سليمان	قصص	محمد خيرى حلمى
٥٤ ـ وقع أقلام على لوحة فنية	قصص	همت مصطفى
٥٥ ـ أحزان الغروب	رواية	سعيد عبد النبى
٥٦ ـ كشف الورق	قصص	صلاح بكر
٥٧ ـ قالها فى صمت	قصص	هانى عادل
٥٨ ـ بلاد الغربة	رواية	سعيد بكــر
٥٩ـ الطريق الصح	رواية	محمد خيرى حلمى

وجه فى السحاب : قصص قصيرة ـ الكاتبة / نادية البرعى

رقم الإيداع : ٥٨٦٢ / ٢٠١٠
تدمك : ٠٩٧٧١٧٨٦١٠٥

القصص العربية القصيرة

عنوان الكاتبة : ٣٢ ش السيوف ـ المنتزه ـ الإسكندرية

تليفون : ٣٥٨٣٩٧٤

موبايل : ٠١٠٨٦٦٠٩٨٩

البريد الإلكترونى : nadiaelboraey@yahoo.com



وجه فى السحاب

الهم الإنسانى هو ما يحرك قصص هذه المجموعـــة .

فرغم هذا التقدم المادى فلازال الإنسان يعانى الفقــر

المادى والمعنوى وخصوصاً فى عالمنـــا العربـــى،

فقد المشاعر والتضامن، والبعد عن الله ومحـــاولـــة

قهر الآخرين قد يحاول الإنسان أن يحيا حياة أفضل

ويكافح فى ذلك فهل يتركه الآخرون ؟

ويبقى الإنسان - فى هذه القصـــص - معلقـــاً بيـــن

السماء والأرض لا مكان يستقر فيه، وتصبح الحيـــاة

بالنسبة له هى سحابة عابرة تختفى ويختفى معها.

أ. عبد الله هـ